علامة تعجب

في « الرسالة » (رقم ٣٢٩) قصيدة أبياتها أربعة وخمسون وزُخرفها اثنتان وستون علامة تَعَجُّب ، أعان الله جمّاع حروف « الرسالة » ! ولا أقصد هنا التهمل عند هذا النحو من أنحاء النظم الحديثة، فلكل عهد من عهود الشعر المنظوم بالصنعة ذرائع ؛ وقديماً استنجد بعض الشعراء ممن قعد خاطره بمحسنات البديع ، واستغاث غيرهم ممن جمدت رويّته بالإغراب والتهويل اللفظي، وفزع طائفة من المحدثين إلى المسخ أو المحاكاة أو المعارضة، ثم هذى الطباعة الحديثة تبذل أسباباً أخرى في طليعتها علامات التعجُّب (أو التنهد أو التحسر)

ولو كان في يدي من أمر « الرسالة » شيء لكنت ضننت على الشاعر بذلك العدد الجارف من علامات التعجب ، فأدخرها للقراء أنفسهم إذا آمر بها فتنثر هنا وهنا في صفحة من صفحات المجلة ، فيلتقط منها الملتقط ويختطف المختطف . ألا يحصرنا من مثيرات العجب ما لا يحصيه غير إحصائي حاذق ؟ ولو بسطتَ أطراف العجب على ما يبعثك لنفدت علامات التعجب المخزونة في صناديق « الرسالة » مهما غصت بحروف الترقيم . وحسبي أن أتعجب مما صدمني في يوم واحد .

* * *

هات علامةً أتعجب بها من معاملة إدارة دار الأوبرة والفرقة القومية وشركة مصر للتمثيل والسينما . فمن المشهور أنها تدعو إلى ما تقيمه الحين بعد الحين من صنوف الفن طائفةً من الصحافيين والنَقَدة الفضوليين الهاجين، مداراةً أو تلطفاً، وأنها تدعو زمرة ممن يقال لهم « كبار الموظفين ». تدعو هؤلاء وأولئك، وهي تُهمل نفراً من الكتاب المقدّمين والنقّاد البصراء ؛ فإن سألها أحدهم في ذلك قالت له « اقصدني أتفضّل عليك بتذكرة دخول ». فهل غاب عن تلك الإدارات ما يجري في نواحي أوربة المتمدينة ؟ ولعل الصديق الأستاذ توفيق الحكيم يرشد تلك الإدارات المختلفة إلى آداب المعاملة الثقافية

* * *

وعلامةً أتعجب بها من خروج مسرحية عنوانها « امرأة تستجدي » على مسرح الفرقة القومية ، وقد وصفها ناقد الرسالة خير وصف في العدد السابق . بالله كيف أفلتت هذه المسرحية من مناظير « لجنة القراءة » وفيها من فيها ؟ ولِمَ تذيقُ الفرقة رجالها عذاب تمثيل مثل هذه المسرحية وتذيق النظارةَ شهودها ؟ هل يدخل هذا في مجاهدات شهر رمضان ؟ ألا كثيراً ما قلنا للفرقة القومية : المسرحية المرضية إذا ترجمت خير من المسرحية التافهة وإن كانت مؤلَّفة . والتأليف المسرحي في الأدب العربي لا يزال في عهد الاستواء ، فاطلبوا النماذج الحسنة وانبذوا الرديئة . ولا يضير بلداً أن يقال فيه إنه لم يخرج بعد عدداً من الفلاسفة المبتكرين أو الشعراء الفحول ... إن مجد الأمم لا يرتجل

* * *

وعلامةً أتعجب بها مما جاء في الصفحة الأولى من « مصطلحات في باب الأحياء والطب » من « مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية » (ج ٤ ص ١١ والشرح) . أصبت في تلك الصفحة : « الحركة الذاتية » بإزاء active movement ، ثم « الحركة الخارجية » بإزاء passive movement . والذي يعرفه طلاّب الفنون أن كلمة active تنظر إليها في العربية كلمة « فعّال » وأن passive تنظر إليها كلمة « منفعل » (و« انفعالي ») وهما من المقولتين « يفعل وينفعل » (راجع هذا في « مباحث عربية »

ص ١٢٠ ، الحاشية) . وأما « الحركة الذاتية » فشيء آخر (وتصيب تعريف هذا التعبير في « كشاف اصطلاحات الفنون » مادة « الحركة » ص ٣٤٣ ، وفي « التعريفات » مصر ١٢٨٣ ص ٥٨) . وكيفما كانت الحال فإن التعبير الذي يقابل « الحركة الذاتية » هو : « الحركة العرضية » ، كما جاء في ذيلك المرجعين . هذا وكأني بالمجمع عبّر بـ « الحركة الخارجية » عن « الحركة القسرية » (وهذا من المصطلحات العربية) و « هي ما يكون مبدؤها بسبب ميل من خارج كالحجر المرمى من فوق » (التعريفات). ومما يقابل « الحركة القسرية » في المصطلح : « الحركة الإرادية »

* * *

ثم علامةً أتعجب بها مما جرى به قلم الصديق الدكتور زكي مبارك ، إذ أخذ عليّ في العدد السابق أني أغلّب إلقاء الشعر بحسب المعاني والألفاظ على إلقائه بحسب التفاعيل ، وسبب التعجب أن زميلي الباريسي يعلم فوق علمي أن أهل الدراية من عرب وأعاجم مجمعون على أن الشاعر خير من الوازن ، وكانت العرب تقول في موضع الذم : « إنما هو عروضي ، ومقطع أبيات ووزّان تفاعيل » ، وما كان لهذا أن يكون لولا أن الشعر يقوم بمعناه ولفظه فوق ما يقوم بوزنه ، وذلك فضلاً عن أن مجرّد الوزن إنما هو للأذن ، وأما المعنى واللفظ فلما يليها في الباطن ؛ والطرب لا يأخذ النفس اللطيفة من طريق الحسّ الظاهر ، بل هذا الحسّ إذا علا شأنه طغى على الوجدان ، فما يحسن به إذن أن يتواضع ، ومما يحق على الوزن أن ينتشر خفيةً في تضاعيف البيت . ثم كيف يكون مأخذ الصديق صاحب « ليلى المريضة ... » — لعلها شُفيت فشفي فيشفي المواسون معه — وهو يذيع فينا أنه مفتون بالجمال ، والجمال لا تصيبه في الهيكل العظمي بل عليك به فيما يكسوه ، وإنما الوزن يكسوه المعنى واللفظ . بقي أن فن الإلقاء الحديث يرى ما أرى ، وإن تمسّك الصديق بما ألِفته أذنه ، وكثيراً ما نغضب لما تعوداه ، من ذلك غضب بعضهم للحجاب وغضب بعضهم « للعتبة الخضرا » يرحمها الله .

بشر فارس

(رجع) : في العدد السابق رقم ٣٣١ في خاتمة مقال وقع سهواً : « فرعون الصغير » والوجه : « نداء المجهول » . ووقع أيضا : « مارك اورلا » والصواب : « مالك ... » . هذا وجاء في مقال آخر رقم ٣٣٠ « هل أخفى عليك » والصحيح : « منك »

العبء الوثقى لمولد الشريف الرضي

أخي الأستاذ الزيات :

كنت تفضلت فأطلعتني على بعض ما نشر في جرائد العراق عن الاستعداد لإقامة حفلة كبيرة في الكاظمية بمناسبة العيد الألفي للشريف الرضي .

ومنذ أيام قرأت في مجلة الصباح كلمة قال كاتبها « الفائق » : إن سعادة السيد ابرهيم صالح شكر قائم مقام الكاظمية يهتم بتوسيع ضريح الشريف تمهيداً لتلك الحفلة الكبيرة .

فهل أستطيع أن أقول إن الشريف الرضي يستحق أن تقام له حفلة رسمية في العراق كالحفلة التي أقيمت لأبي الطيب المتنبي ؟

إن المجد الأدبي للشريف الرضي لم يعد ميراثاً لأتباعه من الشيعة ، مع الاحترام لصدقهم في الحرص على إحياء ذكراه ، وإنما مجد الشريف الرضي تراث للعراق أولاً، وللأمم العربية ثانياً؛ ومن أجل ذلك أرجو أن يأخذ الاحتفال بذكراه في العراق صبغة قومية لا صبغة طائفية ، فيكون من الخطباء والشعراء من يفهمون أنه من رجال الأدب قبل أن يكون من رجال الدين .

وأنت تعرف يا صديق أن الشريف الرضيّ تحور في دنياه من الصِّبغة المذهبية فدرس كتب الشافعية ليعرف ما عند أهل السنة من أفكار وآراء ، فمن الظلم لهذا الرجل العظيم أن يحتفل بذكراه فريق دون فريق .

وفي نيتي — إن شاء الله — أن أحضر تلك الحفلة على شرط أن تصدر الدعوة إليها من وزارة المعارف العراقية ، وإلا فسأقترح على كلية الآداب بالجامعة المصرية أن تقيم أسبوعاً لذكرى الشريف كما أقامت أسبوعاً لذكرى المتنبي، فنؤدّي حق الشريف في القاهرة قبل أن يؤدّى في بغداد .

فإن قيل إن الحالة الدولية قد تمنع من إقامة تلك الحفلة بصفة رسمية ، فإني أجيب بأن الأوربيين يحتفلون بذكريات رجالهم العظماء في ميادين الحروب ، ونريد أن نكون أعرف منهم بالواجب وأحفظ للجميل .

وحين يتفضل وزير المعارف في العراق باستماع هذا القول فإني أرجو أن نزور بغداد معاً في آذار المقبل لنشترك في إحياء ذكرى الشريف ، ولنشهد تفتّح الأزهار حول دجلة والفرات ، ولنطوف بدار ليلى ودار ظمياء ... والله يحفظك للصديق الموكّل برعاية العهود .

زكي مبارك

تخليطات فى فهرس « عيون الأخبار »

عامة الناس على أن دار الكتب المصرية ، بقسمها الأدبى ، أمثل دور النشر العربية جميعاً ، بما أتيح لها من أسباب القوة ، وما مكن لها من وسائل التحرير والضبط ، مادية وفنية ، ففيها المال والرجال ، وجناباتها الواسعة تفهق بالمراجع العظيمة والمصادر الثرية ، ولها الصوت الواسع البعيد الذى يكفل لنشراتها ما تقتطع دونه أعناق الناشرين تشوفاً وطماعية .

وما نشك فى أن « دار الكتب » جديرة — مع شىء من التحفظ — بهذه المكانة التى تتبوؤها ، فقد أسدت إلى الأدب العربى ، وإلى جمهرة المتأدبين والباحثين ، صنائع لا سبيل إلى نكرانها ، قياساً إلى تلك النشرات الأخرى التى نكب بها الأدب العربى . وإذا كان بعض الناس يغلو فى نقدها ومؤاخذتها بالبطء الشديد ، والتنكب أحياناً لمسالك النشر العلمى السديد ، فإنما ذلك على قدر الظن بها ، والأمل فيها ؛ وعلى قدر الرغبة فى أن تكون النشرات التى تقوم عليها صورة مثلى مما تضطرب به آمالنا نحو تراثنا العقلى ، من الأخذ فى تحقيقها بالتثبت الذى لا يتهاون ولا يتسامح ولا يغفل ، مما هو جدير بأدبنا العربى الذى ندين له ، وجدير بالمنزلة التى نزعمها لمصر نحوه .

ومن نشرات « دار الكتب » التى نرى فيها إلى جانب الرغبة فى التحرى والدقة والضبط مظاهر شنيعة للغفلة والإهمال والتخبط كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، مما يعد بهذه النشرة عن الروح العلمية بعداً شاسعاً ، ويضع الذين قاموا عليها موضعاً غير جدير بهم ولا بمكانهم من تلك الدار .

وأنا أكتفى من هذه المظاهر المتناثرة فى أثناء الكتاب كله بثلاثة مواضع لا عذر فيها لمعتذر ، ولا محل فيها لجدل ؛ وليس يقال فيها : رداءة الأصل وانهيام الخط وانعدام المصادر واختلاف النظر . فهى أغلاط بل « تخليطات » فى فهرس الأعلام لذلك الكتاب ، ومثل هذه الفهارس التى قيل فيها إنها نصف العلم ، إن لم يؤخذ فى وضعها بالدقة ، كانت شيئاً أشبه بالترف الذى يقوم على التقليد الظاهر ، أو التغرير الذى يلجأ إليه بعض المتجرين التماساً للعائدة المادية ليس غير ، لا ضرورة علمية توحى بها روح العلم ومناهج البحث .

١ — أول هذه المواضع يتعلق بالثورى ، وقد جاء « الثورى » فى عيون الأخبار مشتركاً بين اثنين ، يختلف ما بينهما اختلافاً كبيراً ، حتى ما يكادان يلتقيان إلا فى هذه النسبة : أحدهما أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثورى ، المحدث العظيم ، والورع المتصعم بدينه وورعه عن مزالق الهوى ، والمحتمل فى ذلك أذى التوارى ومحنة التوقى ومضاضة العيش حتى لا يلى للسلطان عملاً ، ولا ينفذ إليه الشيطان من باب . وأما الثانى ، فهو أبو عبد الرحمن أحد شخصيات الجاحظ الطريفة فى كتاب « البخلاء » ، ممن اتخذهم أبو عثمان مادة لتصويره وسخريته من طبقة « البورجوازى » فى البصرة وبغداد . وحسبنا هذا لنعلم أى صورتين متناقضتين جعل منهما ناشرو « عيون الأخبار » شخصاً واحداً ، وأرسلوه فى فهرس الأعلام باسم أبى عبد الرحمن الثورى (صاحب الجاحظ) بالرغم من كل شىء ، وأخضعوا الأمر لقاعدة التغليب ... يعتسفونه اعتسافاً ... وهكذا أضاع ناشرونا الأفاضل أبا عبدالله سفيان ، كان الله له !

٢ — وأما الموضع الثانى ، فالخلط فيه أشنع ، والخطأ فيه أفظع ، أو هى المعجزة التى تعنو لها المعجزات ، وقعت على أيدى سادتنا الأجلاء ، إذ نرى الكليم موسى بن عمران عليه السلام قد تقلصت عنه السنون ، فقام ينفض غبار القرون ، فإذا هو من معاصرى أبى الهذيل العلاف وسهل بن هرون ! وحقت بذلك كلمة القوم .

فكذلك صنع ناشرو عيون الأخبار فى الإشارة إلى موسى ابن عمران فى خبر جاء فيه أن سهل بن هرون بعث إليه أبياتاً يعبث فيها بأبى الهذيل العلاف ، إذ خلطوا بينه وبين موسى ابن عمران (النبى عليه السلام)

وإنما موسى بن عمران هذا هو بعينه الذى يذكر كثيراً باسم « مويس بن عمران » ، وقد ذكره المرتضى فى الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة ، وكثير من أخباره وآرائه فى الانتصار لأبى الحسين الخياط ، والملل والنحل للشهرستانى ، والأغانى لأبى الفرج ، وأخبار أبى نواس لابن منظور . كما يردد الجاحظ اسمه كثيراً فى كتبه كالحيوان والبخلاء والبيان والتبيين

٣ — وأما الموضع الثالث فأعجب عجباً وأغرب غرابة ، والخلط فيه من طراز بدع جديد

لعل كثيراً من المتأدبين يذكرون قصيدة سويد بن أبي كاهل التي يقول فيها :

رب من أنضجت غيظاً قلبه قد تمنى لي موتاً لم يطع

وقد جاء فيها هذا البيت يذكر ذلك المغيظ الذي أنضج الغيظ قلبه :

مزبداً يخطر ما لم يرني فإذا أسمعته صوتي انقمع

وكنا نفهم — بكل بساطة — أنه يمثل صاحبه في هذا البيت بالجمل الهائج يخطر في مشيه ويضرب بذنبه وقد علا الزبد شدقيه ، وقد غفلنا — ونستغفر الله الذي تفرد بالعصمة — أن فوق كل ذي علم عليما . فقد أبى أصحابنا الناشرون إلا أن (مزبدا) في هذا البيت ليس على ما خيل إلينا وإنما هو ... « مزبد » المدني صاحب النوادر ! هكذا والله صنع القوم . فقد أشاروا إلى هذا البيت في فهرس الأعلام ضمن ما أشاروا إليه من النصوص التي ورد فيها « مزبد » هذا وأحالوا الباحثين عليها

وبعد فإن هذه التخليطات الغليظة تكاد تهدم الثقة بدار الكتب ونشراتها جميعاً ، لولا ما نراه فيها كثيراً من آيات الجهد الجاهد في التحرير والضبط ، والبراعة العظيمة في التصحيح والتخريج . فنتساءل مع شيخنا الجاحظ : كيف تبصر البعيد الغامض ، وتغبى عن القريب الجليل !

م . ط . ع

تعليق على خطبة وزير الدفاع

ألقى حضرة صاحب المعالي اللواء محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع خطبة قوية رائعة في احتفال الكلية الحربية صباح الخميس ٣ نوفمبر ، بمناسبة تخريج طائفة من الضباط الذين أتموا دراستهم . وأشهد لقد قرأت هذه الخطبة في الصحف ، فاهتزت مشاعري حماسة وإعجاباً بما اشتملت عليه من معان وطنية سامية ، تبعث العزة والكرامة في النفوس ، وتحفز إلى التضحية والاستشهاد في ميدان الشرف !

ومعالي الوزير أديب واسع الاطلاع ، دقيق الفهم لأسرار البيان ، وخطيب بالغ الحجة قوي التأثير ؛ وهو فوق هذا صاحب عقيدة راسخة وخلق متين .

إستهل معاليه خطبته البليغة بقوله : « أبنائي الأعزاء ، إن موقفي اليوم منكم هو موقف التهنئة والتبريك ، فأهنئكم من كل قلبي . أهنئكم بالنجمة الأولى في سماء المجد والشرف ، وأهنئكم بالسيف المصلت في سبيل الوطن الغالي ! »

يالله من توجيه سديد والتفاتة بارعة ! نعم إنها النجمة الأولى التي يزهو بها حاملها في سماء المجد والشرف ، لا بين نجوم المسرح وكواكب الصالات ...

إنني لأذكر مع الأسف ذلك المشهد المؤذي للكرامة والشعور حين وقفت إحدى الراقصات تلوح منلوجاً مطلعه :

النجمة في كتفك عاجباني والسيف على وسطك خلاني

حبيتك يا ملازم ثاني ... !

فما كان من أحد الضباط وقد استخفه الطرب إلا أن قام في عربدة واستهتار يطالب الترديد والمزيد ، ثم طوح بطربوشه في الفضاء ، مزهواً بالنجمة الآفلة والسيف الذليل !

فأي ضابط من أولئك الذين سموا وزيرهم النبيل يلقي عليهم ذلك الدرس البليغ في تقدير هذه الشارات الرفيعة التي ترمز إلى المجد والعظمة والسمو ، تحدثه نفسه بعد ذلك بالنزول إلى هذا المستوى الوضيع ؟

لقد ترك معالي الوزير السابق أجمل الذكرى وأطيب الأثر ، حين أمر بعدم ظهور الضباط بملابسهم العسكرية في هذه الميادين . وفي ذلك معنى بليغ يجب تدبره وتقديره ، وهو أن الضابط الذي يزج بنفسه في هذه النواحي لا يستحق التمتع بشرف الجندية

وحبذا لو أتم معالي الوزير الحالي خطوات سلفه ، فلم يجعل هذا الخطر قاصراً على الضباط فحسب ، بل نافذاً على الجنود أيضاً . حتى لا نشاهد تلك المناظر المخجلة في بؤر الدعارة والفساد جنود الوطن وعدته في الشدائد الذين يمثلون أسمى معاني الرجولة والشرف ، تمتلئ بهم المواخير في بعض الليالي والأيام

ويقول معالي الوزير في خطبته السديدة : « ليست الجندية غروراً يملأ الصدور وينفخ في المعاطس ، ولا بدلة للزينة ؛ وليست الجندية رتباً ولباساً ومطعماً ومتاعاً من النعيم الذليل . ولكن الجندية — وهي أسمى مراتب الرجولة وأسمى منازل الأخلاق — أكرم على الله والناس من أن تكون هذه غايتها وهذا مداها ! »

منطق حق وقول سديد . وما أحوج رجال الجيش إلى تدبر

هذه المعانى النبيلة ، والانطباع على تلك الأخلاق القويمة . حتى يستطيع أن ينهض بأعبائه الثقال قوى المدة متين البناء . فنحن فى زمن — كما يقول معاليه — من لم يكن فيه ذئباً كان فى الغنم

ثم يختتم خطابه بقوله : « أوصيكم بأنفسكم خيراً ، وتحصنوا بالأخلاق فهى جنتكم من الزلل . ثم أوصيكم بالجنود خيراً ، وأكرر هذه الوصاة ، فهم عدة الوطن فى شدته ، وهم طعام النيران ! ومن أساء إليهم فقد أساء الوطن ، وإنى أعيذكم أن تسيئوا إلى مصر وأنتم حماة ذمارها »

وهنا أشير إلى عادة مستهجنة يجرى العمل عليها فى نظام الجيش ، فيها الإساءة البالغة إلى كرامة الجنود وشرف الجندية . تلك هى نظام « المراسلة » الذى يفرض على بعض الجنود أن يكونوا خدماً للضباط لا فى ميادين القتال وساحات الجهاد ، وإنما فى المنازل حيث إعداد الطعام وغسل البلاط وحمل الأطفال ! بل وفيما هو أحط من ذلك فى كثير من النواحى والشؤون ...

ومن المؤلم أن تكون هذه الخدمة مطمح الجنود ومقر ذوى الحظوة منهم . وفى ذلك ما فيه من إفساد للروح المعنوية وانحدار عن مستوى الرجولة والشرف . فهل لمعالى الوزير الحازم — وهو يوصى بالجنود خيراً — أن يرفع عن أعناقهم هذا النير الذى يورث الذل والصغار ، فلا يفرض عليهم الخدمة فى غير المعسكر أو الميدان ؟

إنا لنرجو الخير الكثير على يدى معاليه . ولنا فى ماضيه الجليل فى ميدان الحرب والسياسة ، وحاضره المحفوف بالتقدير والإكبار ما يؤكد الثقة ويقوى الأمل فى جلال المستقبل وعزة الغد .

(حلوان) محمد فاضل جمعة

زكاة الفطر

أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية صندوق الإحسان فى بنك مصر لجمع زكاة الفطر ووجه معالى وزيرها إلى الشعب نداء بليغاً يدعوه إلى أداء هذه الزكاة جاء فى ختامه قوله :

« إن وزارة الشؤون الاجتماعية حين تجعل فى عنقها أمانة الزكاة تنعى إلى خاصة المسلمين وعامتهم أن إيداع زكاة الفطر فى « صندوق الإحسان » الذى جعلته وعاء للخير موافق لأحكام الشرع الشريف ، فبهذا أفتى رجال الدين وعليه جرى العمل فى دول الإسلام الأولى وصدور أيامه السالفة وبه تبرأ ذمة كل مسلم من عهدة التقصير فى هذه الزكاة وتنتقل المسؤولية أمام الله إلى وزير الصدقات الذى هو وزير الشؤون الاجتماعية . وحسبكم أن يعطيكم وزير الشؤون الاجتماعية عهد الله وذمته فيشهد الله ويشهدكم أن ينفق ما تزكون به فى وجوهه المشروعة

إن فرصة الخير أضيق من أن تمتد مع التسويف وقد علمتم أن أفضل ما تؤدى زكاة الفطر إذا لم تتأخر عن يوم العيد والله تعالى يدعوكم إليها فأجيبوا دعاءه وهو يعدكم حسن الجزاء عليها فاستوجبوا وعده الصادق بالمبادرة إلى طاعته »

اكتشاف مصل واق من التيفانوس

أبلغ المجمع العلمى الفرنسى أن الدكتور رمون والدكتور لبميه توصلا إلى صنع مصل واق من التيفانوس ودلت التجارب التى عملت أن هذا المصل يعطى الإنسان والحيوان مناعة قوية ضد التيفانوس وهو اكتشاف ذو أهمية خاصة فى هذا الوقت الذى يعد فيه التيفانوس مرضاً مخيفاً فى وقت الحرب